الشباب الجزائري وثقافة الإعلام الجديد

بين تحدي الملائمة وتجديد الانتماء

أمير ضهير و جمال تالي
جامعة جيجل

الملخص:

يعيش الشباب الجزائري مجموعة من التحولات في طرق العيش وأساليب التفكير وأنماط السلوك، تحولات تنطوي على تداخل بين التقليدي والحداثي سواء على صعيد العلاقات الاجتماعية و الثقافية، أو حتى على مستوى القيم التي يحملها، أن هذا التداخل يظهر أكثر في السلوك بين بعدين المحلي والعالمي؛ بفعل التأثير المتعاظم للتلفزيون وثورة الاتصالات والمعلومات، وتتجلى نتائج تلك التحولات لدى مختلف الفئات الاجتماعية، لكن بصفة اخص فئة الشباب كونها فئة تتطلع دائما الى الجديد وتسعى الى تغيير نمط العيش التقليدي؛ وبالتالي وبحكم تلقيهم قدرا من المعارف والتكوين وازدياد تحكمهم في الوسائط الرقمية بشكل متزايد هم أكثر عرضة لتلك التحولات وما ينجم عنها من تأثيرات ايجابية وسلبية.

Abstract :

Theyoung Algerian live a set of transformations in the life style and the ways of thinking and behavior patterns , these shifts involve the overlap between traditionalism and modernism, both in terms of social and cultural relations, or even at the level of values that carry it, this overlap appears more in behavior between two dimensions local and global levels; by the great growing impact of television and communicationand information revolution , this reflected the results of these transitions among various social groups, but more particularly the youth one ,this class is always looking to new and seeking to change traditional lifestyle; therefore the virtue of receiving a knowledge and training degree,this increased the control over their digital media which is more

susceptible to these changes and their positive and negative result effects .

المقدمة:

إن الإعلام التقليدي، وخاصة المحلي منه(التلفزيون الرسمي) لا يوفر للشباب الجزائري إمكانية التعبير عن إنشغالاتهم ولا عن تطلعاتهم، علاوة عن عدم مواكبة هذه الأخيرة للتطورات الخاصة في مجال الإعلام لذلك يتوجهون إلى الإعلام الجديد بحثا عن فرصة التعبير عن أنفسهم، والإفصاح عن اهتماماتهم ورغباتهم، دونما قسر أو إرغام، لأنه من واجب المجتمع الإصغاء إلى متطلباتهم وتطلعاتهم.

لكن إذا اعتبرنا هذا الإعلام الجديد كنسق فرعي في البناء الاجتماعي، هل هو ملائم لشبابنا وقيمه وثقافته التي يحملها؟ ألا يؤثر هذا على الهوية والانتماء لثوابت المجتمع الجزائري؟

وسنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤلات السابقة ومحاولة فهم أبعاد ومؤثرات ما أسميناه بالإعلام الجديد في المجتمع الجزائري.

أولا: مدخل مفاهيمي في سوسيولوجي الشباب والإعلام الجديد.

لقد سعى الإنسان منذ فجر التاريخ الى تطوير أدوات الاتصال فطور القلم والورق، وراكم حديثا أدوات الاتصال والإرسال والبث الى أن وصل الى الحاسوب ثم الشبكة العنكبوتية، ففي القديم كما في الحديث تجاوزت وسائل الاتصال الحدود وبدرجات متفاوتة، ودائما ما يطلق على أي منها كلمة جديدة.

فالإعلام الجديد ناتج عن الاتصال الالكتروني الذي بدأ مع ثورة الاتصال الثالثة، التي مكنت من شيوع المعرفة ووصولها إلى جميع الناس عبر وسائل الاتصال الالكترونية، كالراديو والتلفزيون، وتطورت إلى الثورة الإتصالية الرابعة – الرقمية- تقريبا خلال العقدين الأخيرين، حيث مكنت من دمج وربط أدوات الاتصال بعضها ببعض.

وقد أتاح الدمج مزج الصورة والصوت والنص المكتوب بما أوصلنا إلى الإعلام الالكتروني متعدد الوسائط، وتضمينه في الشبكة العنكبوتية التي خولت حمل كل رموز الاتصال المتاحة إلى أي مكان في العالم تتوفر فيه أجهزة استقبال بسيطة، وغير مكلفة قياسا بما كانت عليه أجيال وسائط الاتصال السابقة.(عصام موسى،العرب وثورة الاتصال الأولى: ص 78)

فمع قدوم الثورة الإتصالاتية الرقمية، توسع نظام الاتصال على المستوى الاجتماعي (الشعبي)،فشهد تحولات في مجال تقبّل وجهات النظر المتباينة كظاهرة جديدة ربما تخالف النظرة الواحدة التي كان المجتمع الجزائري أسيرا لها منذ زمن بعيد، حيث فتحت آفاق واسعة لقاعدة التعبير والمشاركة، وأصبحت أكثر تحررا مما كانت عليه في السابق.

لكن الشباب هم روح المجتمع، ولا وجود لقيم في أي مجتمع سوى قيم يتبناها الشباب تتمثل في روح الاندفاع، وحب العمل، والجرأة، الصدق، النقد، الرفض، فالشباب ينادي بجملة من القيم وتلك القيم قد يرفضها المجتمع المتصلب في ثقافته والمتشدد في رجعيته ونزعته المحافظة، أو يتبناها المجتمع الحي الذي تتسم ثقافته بالمرونة والانفتاح على الآخر، ولعله من أبسط واجباتنا أن نهتم بقيم الشباب ونبني عليها، ونتشبع بها، وإلا بحث الشباب عن منافذ أخرى ليعبر فيها عن تطلعاته ورغباته، فضاءات لا تظهر فيها السلطة الأبوية ونداءات الماضي السحيق، لأنه لا يمكن لنا اليوم كمجتمع جزائري أن ننغلق بأنفسنا، ونعزل شبابنا عن العالم، بحجة الحفاظ على الهوية واستقرار الأنماط السائدة، في الوقت الذي توفر فيه التكنولوجيا كل هذه الفضاءات وبقيم تهدد مقومات المجتمع وأركانه.

ثانيا: تأثير الإعلام الجديد على الأسرة و المدرسة.

إن الإعلام الجديد أو وسائط الاتصال الحديثة، و بخاصة التلفزيون و بعدها الإنترنت أحدثت إخلالاً كبيراً في نظام التنشئة الاجتماعية، وأحدثت اضطراباً و انعدام توازن بين مستويين مختلفين من الخطاب؛ الأول تنتجه المدرسة والأسرة، و يمكن وسمه بالتقليدي؛ والثاني تمتل تنتجه وسائط الاتصال

المختلفة، و يتجه نحو التحرر و اعتماد آليات جديدة عليها الطابع الترفيهي.
وبهذا المعنى، لمتعد التنشئة الاجتماعية حكراً على الأسرة و المدرسة فحسب، بل صارت العملية معقدة بعد أن تجاورت إلى جانب المؤسستين و سائط الاتصال الجديدة، بل إن التربية أو التنشئة صارت في اتجاه قوى درجة تأثير وسائل الإعلام، حيث أصبحت التربية عملية منتشرة تقوم بها الأسرة و المؤسسات التعليمية و مؤسسات الشغل و المؤسسات السياسية و وسائل الاتصال على اختلاف أنواعها."(ميشيل فوكو: حوار أجري معه، نشر في مجلة L'ARC، 1977 ، عدد70)

يشير التعريف إلى إحدى الوظائف المهمة و الخطيرة التي يفترض في و سائل الاتصال تحقيقها، إنها وظيفة نشر الصور و الأصوات و في الوقت نفسها للرموز، و تكمن خطورة هذه الوظيفة في تلك القدرة و الإمكانية التي تتيحها وسائل الإعلام لنشر الرموز بالنظر إلى أن السيطرة على عالم الرموز و إنتاجها يسيطرة على العالم المادي، عالم الرموز و عالم الصور طبع حياةا لمجتمعات، فصارتالحضارة المعاصرة حضارة لغوية وصورية، من أهم خصائصها اعتماد الصورة بدل الكلمة، و ارتفاع منسوب ا لاستهلاك المرئي.

ونلاحظ انه حيثما تم تطوير تكنولوجيا الاتصال بوسائل جديدة وفاعلة، وكلما كانت هناك حرية في استعمالها وعدم التضييق، حدثت تحولات اجتماعية تعزز القيم الإنسانية والديمقراطية، وحتى في المجتمعات الأكثر تضييقا على الحريات والرقابة على مستعملي الانترنت، ومنع اقتناء أجهزة الاستقبال للقنوات الفضائية في بعض المجتمعات العربية، إلا انه حدثت تغيرات جذرية وثورات أطاحت بتلك الأنظمة الشمولية.

فانتشار المعرفة وشيوعها يحدثان وعيا بالحقوق بين أفراد المجتمع، لكن ذلك لا يجعلنا نعتقد أن وسائل الاتصال الجماهيري والإعلام الجديد بصفة عامة، كنسق فرعي في النظام الاجتماعي يمكن أن تعمل بمفردها، على إحداث تغيير جذري وسريع في بنية المجتمع، لأن فعلها يكون ضمن سياق شامل تتفاعل مختلف الأنساق الاجتماعية فيه، فتتجه الى الإسراع بالتغيير أو تكبحه.

فالمجتمع يتقبل الفرد حينما يطبعه بثقافته وحضارته ويكسبه تصوراته، عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية، وبالتالي يكون سلوك الفرد طبقا للتوقعات الاجتماعية المنتظرة منه في مختلف المواقف لا يخرج عنها ولا يمتنع عن القيام بها، وفي المقابل يرفض المجتمع كل من يخرج عن القيم المشتركة وتكون سلوكياته مخالفة للتوقعات الاجتماعية، ويعتبره مفتقدا للمعايير الاجتماعية، وبالتالي يفرض عليه نوعا من التماهي والتماثل مع ما هو سائد اجتماعيا، وحينها يجد الفرد نفسه مدفوعا للظهور بالمظهر الذي يرضي الآخرين لا بالمظهر الذي ينم عن حقيقته، "وهو إذ يفعل ذلك يستعير شخصية غير شخصيته وينتهي إلى تشويه الشخصية الحرة المبدعة لديه." (انس شكشك، علم النفس العام: ص 107)

ثالثا: ثقافة الإعلام الجديد وتحدي الملائمة:

على الرغم من أن الوظائف الإعلامية متعددة الأهداف والمقاصد، إلا أن الإعلام العربي والجزائري على وجه الخصوص يغالي في التركيز على البرامج الترفيهية والغنائية والرياضية على حساب البرامج الأخرى كالبرامج الإخبارية والثقافية والعلمية والدينية، وبذلك أصبحت الرسالة الإعلامية في الجزائر قاصرة ومحدودة وموجهة ، تعمل على تعميق هشاشة الفكر والتسطيح والتلهية من خلال التركيز المطلق على الترفيه.

إن الإغراق في الترفيه والتلهية بالبرامج السطحية والأفكار المستهلكة والبالية، وعدم مواكبة الأحداث وحرمان المواطن من حقه في المعلومة، بحيث أصبح الفرد في المجتمع الجزائري يبحث عن أخبار بلده ومستجدات الأحداث فيه في القنوات الأجنبية، كل هذا قابلته هجرة جماعية للأفراد في المجتمع الجزائري خاصة فئة الشباب نحو الإعلام الجديد بمختلف وسائله، بحثا عن خبر شفاف يعكس الواقع كما هو، ويلتمس تعليقا يعبر عن رأيه دون رقيب، فيصبح الشاب من باحث عن خبر يرضي فضوله إلى متفاعل يتقاسم رأيه مع الآخرين، وربما إلى مصدر للخبر نفسه من خلال ما يتيحه الإعلام الجديد من مرونة وسهولة في التواصل.

ضمن هذه الظروف والشروط بدأت ملامح التغيير في الإعلام الجزائري تتجلى تدريجيا، وبدأت المنافسة تشتد في مواكبة هذه التحولات دون إحداث تغيرات جذرية في الإعلام الرسمي وما يدور في فلكه، وهكذا ساهمت الصحافة المكتوبة والإذاعات الجهوية والفضائيات الجديدة في بداية إنتاج خط إعلامي جديد، لكنه – خاصة الإعلام الفضائي منه- يشوبه الكثير من السطحية والارتجال وربما لم يتخلص من الذهنية التي سيطرت على الإعلام الرسمي.

وعلى الرغم من أنها فتحت المجال واسعا أمام الشباب للتعبير عن تطلعاتهم وطموحاتهم وما يعانونه في الحياة اليومية، فهي عجزت في استيعاب هذه المطالب وتقديمها إعلاميا بصورة أفضل.

إن الشباب يتجهون إلى الإعلام الجديد بحثا عن فرص التعبير عن أنفسهم، والإفصاح عن اهتماماتهم ورغباتهم بكل حرية دونما قسر أو إرغام، وإذا كانت مطالب الشباب تتمحور حول حقوقهم الأساسية في التعليم والعمل والمشاركة واحترام خياراتهم وآرائهم، فان من واجب المجتمع الإصغاء لأصواتهم من خلال تشجيع ثقافة الحوار وتعزيز قيم المشاركة والانفتاح للوصول إلى قواسم مشتركة تحقق مصالح وأهداف الجانبين.

وللإعلام دور هام في كل ما ذكرناه، من تفاعل وانفتاح وتغير ونقد ، لأنه يشجع على نشر الأفكار والمعلومات والأمور المستجدة، وهو بالتالي يساعد المجتمع في التعرف على نفسه، هذا من شانه أن يخلق ما سماه "**بينيديكت اندرسن**" "الجماعة المتخيلة" حين عبّر عن الأمة متخيلة، إذ أنه لا يمكن أبدا للأعضاء في أصغر الأمم أن يتعرفوا على بعضهم البعض، ويدركوا كل التفاصيل التي تعنيهم؛ ومع ذلك، فلدى كل منهم صورة مطبوعة عن جماعتهم. (بينيديكت اندرسون، الجماعات المتخيلة: ص45)

فالمهم في هذا السياق أن وسائل الإعلام تقوم بدورها في تفعيل بناء قيم واهتمامات مشتركة وذلك من خلال توفير شروط خلق جماعة متخيلة ، تسمح ببناء ثقافة ديمقراطية من شأنها أن تنتج مؤسسات تحافظ عليها.

إن الشباب الجزائري لا يريد من مجتمعه سوى الاعتراف بخصوصية سنه، ويوفر لهم إمكانية التعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم دون تدخل أو وصاية، وأن يمنحهم فرصة المشاركة في تقرير ما يخصّ حياتهم الشخصية، ومستقبلهم التعليمي والمهني وفقا لمؤهلاتهم وميولهم واستعداداتهم الخاصة، إن هذا المطلب يتجسد تماما في استخدامات الشباب للإعلام الجديد، وهو الدرس الذي يجب أن يفهم على النحو الصحيح.

رابعا: الإعلام الجديد وتجديد الانتماء:

إن ثورة الاتصالات وتفجر المعلومات وانتشارها، وسهولة التعامل معها من طرف أفراد المجتمع، من شأنه أن يغير في البنى الذهنية للأفراد في المجتمع الواحد، يغير في نظرتهم لأنفسهم، لثقافتهم، لأفكارهم وقيمهم، كما يغير في نظرتهم للآخر، لأن القيم التي تحملها وسائل الإعلام الجديد هي قيم العولمة.

ويعرف الدكتور محمد عابد الجابري العولمة بقوله: هي "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم و أمركته". أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساسا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية. (محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: ص137)

كما تعرف على أنها تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي"، أو هي: "محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع".(محمد إبراهيم المبروك، الإسلام والعولمة: ص99)

فلترجمة أهدافها تستخدم وبشكل أكبر وسائل الإعلام الجديد على اختلاف أشكاله وأدواته، وتمثّل الانترنت أهمها ،فهي تحرر الأفراد من التقوقع والتمركز على الذات بما تتيحه من إمكانيات للتعارف والتواصل مع الآخر والاطلاع على ثقافته والتعامل معه، فهي بذلك تجعل الشباب يقارن بين قيمه وقيم الآخر ويحلل ويسعى إلى إيجاد تفسيرات يتجاوز بها حالة القلق وعدم الفهم، ومن ثم فهذا التفاعل الإلكتروني يتيح تعديل الأفكار والمفاهيم والسلوكيات والنظرة إلى العالم ومن وراءه النظرة إلى الآخر.

واهتمام الشباب الجزائري بالانترنت يتفاوت من فئة لأخرى؛ فالشاب يختار ما يناسبه منها لإعتبارات شخصية اعتمادا على وضعه في لحظة زمنية معينة من حيث المستوى التعليمي والاجتماعي للمستخدم، ومعدل إتقانه للغات الأجنبية، ومدى رغبات الإشباع النفسية والاجتماعية والمعرفية لديه، وفي هذا الصدد توضح بعض الدراسات أن الشباب العربي بصفة عامة وبنسبة كبيرة منه يبحث عن الجنس في الانترنت والتعارف مع الطرف الآخر، أكثر من الاهتمامات المعرفية والعلمية.

ويعرف الانتماء بأنه "النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى" (نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي للشباب المصري : ص 57).

وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة؛ حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها مثل الأسرة، النادي أو الشركة (أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ص 16).ولعل أنقى حالات الانتماء وأرقاها، الانتماء الفكري والذي يتجاوز بمضمونه كل الحالات الأخرى، والتواصل على هذا الأساس له جذوره وقوته أكثر بكثير من الحالات الأخرى. الانتماء هو شعور بالترابط وشعور بالتكامل مع المحيط، الانتماء هو أساس الاستقرار.

وأكَّدت "نجلاء عبد الحميد" في دراستها للانتماء الاجتماعي للشباب أن الولاء للموطن مرهون بالإشاعات المادية والمعنوية لأفراده، وأنها الأطر التي يستقي منها القيم في التنشئة الاجتماعية بما فيها من لغة، وفكر، وثقافة.

نتائج الدراسة:

تبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعي؛ فهو العماد الفقري للجماعة وبدونه تفقد الجماعة تماسكها وتماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها والذي يتوقف على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد فيمكنها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق تلك الفوائد التي يحصل عليها من وراء انتمائه لها والمتمثلة فيما يلي:

-تحقيق الرغبات الشخصية و الاجتماعية التي يعجز الفرد عادة عن تحقيقها بمفرده.

- الشعور بالانتماء إلى جماعة تتقبله ويتقبلها فيشعر بالأمن والطمأنينة.

- يمكن تغيير سلوك الفرد عن طريق الجماعة، فكل جماعة لها معاييرها وقيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي إليها اكتسابها.

- يتمكن الفرد عن طريق انتمائه للجماعة من اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل إيجابياً مع أفراد مجتمعه.

- تساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط، يستغل فيه قدراته ويكتشف قدرات أخرى.

وتشير علا الخواجة إلى أن الانترنت ساهمت بشكل كبير في إضعاف المستوى اللغوي لمستعمليها من الشباب في المجتمع المصري، حيث تراجع استخدام اللغة العربية الفصحى لصالح استخدام العامية، كما أن هناك إتجاه لاستخدام مزيج من الأحرف اللاتينية بدل الحروف العربية خاصة على مواقع الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي(علا الخواجة، تأثير الانترنت على الشباب في مصر والعالم العربي: ص 34).

لكن ليست الانترنت وحدها المسؤولة عن تراجع المستوى اللغوي للشباب، والذي يعبّر عن نوع من الاضطراب الثقافي، وتراجع في الانتماء على اعتبار أن اللغة احدى مقومات الشخصية الوطنية، ولعل الفرنسية في المجتمع الجزائري تستخدم على نطاق واسع؛ سواء في استخدامات الشباب للنت أو في اختيارهم للقنوات الفضائية، أو حتى في التعبير عن آرائهم وتطلعاتهم، وفي الجانب الآخر أصبح الإعلام الجديد يوفر للشباب فضاءات لمعرفة الدين وفهمه، فتعددت القنوات الفضائية الدينية، وتعددت المواقع واختلفت باختلاف المذاهب والجهات التي تقف ورائها، فأصبحنا لا نعرف في المجتمع الجزائري كم من مذهب بين الشباب، في ظل غياب مرجعية دينية تسد هذا الفراغ، فتشاهد هذا الاختلاف بين الشباب في المظهر وفي السلوك، ومن يعتبر سلوكا مباحا يجد الآخر يحرمه، إنها فوضى افرزها الإعلام الجديد فيما يخص الخطاب الديني في المجتمع الواحد، كما استهدف الإعلام الجديد المعولم المجتمع الجزائري وشبابه في تاريخه الحافل بالانتصارات والثورات، وحاول التشكيك في ما حققه من بطولات، وأصبحت الكثير من القضايا التاريخية محل شك ومساءلة.

قائمة المصادر والمراجع

1. عصام موسى، العرب وثورة الاتصال الأولى ، مكتبة الثاني، الأردن،1999.
2. ميشيلفوكو، حوار أجري معه، نشر في مجلةL'ARC ، 1977عدد.70
3. محمد مصطفى القباج، الطفل المغربي، الرباط :منشورات رمسيس.1997
4. انس شكشك، علم النفس العام، دار النهج، حلب سوريا، 2008.
5. بينيديكت اندرسون، الجماعات المتخيلة، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999.
6. محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية- عشر أطروحات-، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد 228، 1998م.

7. محمد إبراهيم المبروك، الإسلام والعولمة، وآخرون، الدار القومية العربية، القاهرة1999م.
8. نجلاء عبد الحميد راتب، الانتماء الاجتماعي للشباب المصري : دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، 1999 .
9. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.
10. http://www.islamonline.net/arabic/adam/2001/10/article15.shtm
11. علا الخواجة، تأثير الانترنت على الشباب في مصر والعالم العربي، دراسة نقدية ، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، القاهرة، 2005.